خطب الجمعة 21-8-2009 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((الاستعداد لرمضان))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ [الكهف: 17].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد محمد عبده ورسوله خير نبي اجتبها وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره...

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فنحن يا قومي عن قريب ذاهبون كلنا ذاهبون الغني والفقير، الصغير والكبير، الأمير والأجير...

سنذهب إلى دار ليس فيها إلا ما قدمنا من أعمال، وإنه من كثرت أعماله كان حاله حال النجاح في الآخرة، لكن من كثرت سيئاته في هذه الدنيا فأمره صعب في تلك الدار. . ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:7-8]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]

هدف الصيام أيها الإخوة هو في آخر هذه الآية لعلكم تتقون، النتيجة المرجوة من كل صائم: لعلكم تتقون. لعلك تصبح منضبطا بأمر الله تعالى وبنهيه، هدف صيام رمضان أن تلتزم التقوى ولكي تحقق أي هدف ينبغي عليك أن تستعد أولا ثم أن تعمل ثانيا، ثم أن تراقب النتائج ثالثا...

تستعد ثم تعمل ثم تراقب النتائج...

لذلك لكي نحقق هذا الهدف علينا أن نستعد ثم نعمل ثم نترقب النتائج والأهداف، لذلك جعلت عنوان خطبة هذا اليوم: **((الاستعداد لرمضان))**

- جرت عادة التجار أيها الإخوة أنهم يستعدون لمواسم بيعهم، وجرت عادة الزراع أنهم يستعدون لمواسم زرعهم وحصادهم، وجرت عادة الطلاب أنهم يستعدون لمواسم امتحاناتهم واختباراتهم، أفلا ينبغي للصالحين والمقبلين على الله أن يستعدوا لرمضان!!! لموسم النفحات الربانية والتجليات النورانية والهبات الرحمانية، خصوصا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فضل رمضان في حديث واحد فيما يرويه أبو هريرة وهو في الصحاح: **((إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وأغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين))** [البخاري ومسلم] وفي رواية: **((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة))** وفي رواية: **((أبواب الرحمة))**

وفي رواية النسائي: **((أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم))** وفي رواية الترمذي: **((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ))**

هذا حديث واحد في الصحاح يذكر فضيلة رمضان إنه موسم للعباد والصالحين أفلا ينبغي علينا أن نستعد لهذا الموسم!!؟

الاستعداد لرمضان، مطلوب منك لكي تنال هذه الأجور الكبيرة في رمضان ولكي تحصل منزلة عالية عند الله تعالى في رمضان أن تستعد له من الآن، علما أن الصالحين كانوا يستعدون من أول رجب، لكن لا عليك فلتبدأ الآن أنت...

والمطلوب منك أربعة أمور:

- **الأمر الأول: التوبة**

والمراد بالتوبة أن تعزم على أن تقلع عن الذنوب التي بينك وبين الله.

كلنا أيها الإخوة لنا أخطاء نخطئها مع رب العالمين، إن شأن العبد أن يذنب وإن شأن الرب أن يغفر، لكن الآن وأنت جالس في هذه الخطبة اعزم على أن تقلع عن الذنب الذي بينك وبين الله...

الشاب الذي كانت عينه تنظر يمنة ويسرة إلى عورات النساء توبته أن يقلع عن هذا العمل استعداد لرمضان، ولا يقل إنه لا يستطيع أن يمتنع عن النظر أمام هذه المغريات وأمام هذه الكاسيات العاريات، لأنه لو لم تكن تستطيع أن تفعل هذا الأمر لما كلفك الله تعالى به، لأن الله تعالى جرت عادته أن لا يكلف بالمستحيل ولا يكلف إلا بالمستطاع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]

فلا يوسوسن لك الشيطان، ليقول لك أنت لا تستطيع أن تقلع عن النظر إلى الحرام أبدا.

أنت تستطيع أن تقلع لكن عليك أن تقرر أنك ستقلع، وإذا قررت سيكون ذلك.

وهذا معنى التوبة وهذا معنى الاستعداد لرمضان، أما أن تصوم وتبقى عينك تذهب هنا وهناك فإن الصالحين قالوا:

المقيم على الذنب والمستغفر كالمستهزئ بربه...

من كان يشرب كأسا من الخمر وكلما شرب دفعة قال أستغفر الله من هذا الشراب هذا يستهزئ برب العالمين، من كان يريد أن يصوم وهو لا يزال ينوي أن يطلق نظره يمنة ويسرة فنحن نخاف أن يكون مستهزئا بهذه الشريعة، الموظف الذي كانت يده تمد إلى أخذ شيء من أموال العامة أو شيئا من أموال الناس رشوة فتوبته أن يقلع عن

الذنب، توبته أن يقلع عن هذا الأمر...

ولا يوسوسن له الشيطان فيقول إذن لن تعيش، إذن سيموت أولادك من الجوع وزوجتك كذلك.

لو كان أولادك وزوجتك سيموتون من الجوع لما حرم الله عليك الرشوة بل لأمرك بها ولأمرنا جميعا.

أما لما كان بإمكانك أن تعيش بدون الحرام حرم الله تعالى عليك هذا الحرام، فالتوبة أن تقلع عن هذا الذنب إذا أردت أن تصوم رمضان حتى تنال ما يناله الصالحون في رمضان...

وهكذا شأن الذنوب كلها التي بيننا وبين الله تعالى، الاستعداد الأول بالتوبة قبل أن يفاجئنا يا أيها الإخوة موت يبعدنا عن التوبة في هذه الحياة...

قال مالك بن دينار: (دخلت على جار لي وهو في الغمرات يعاني سكرات الموت، يغمى عليه مرة ويصحو مرة أخرى وفي قلبه لهيب الزفرات وكان منهمكا في دنياه مقيما على ذنوبه متخلفا عن طاعة ربه ملازما للمعاصي، فقلت له يا أخي تب إلى الله وارجع عن غيك عسى المولى أن يسامحك ويتجاوز عن ذنبك...

فقال لي يا مالك هيهات هيهات قد دنا ما هو آت، أنا ميت لا محالة فيا أسفي على عمر أفنيته في الشهوات...

قال مالك: فسمعت هاتفا من زاوية البيت يقول: عاهدناه مرارا فوجدناه غدارا)

فيا أيها الأخ تب إلى الله ولا يقال لك عاهدناه مرارا فوجدناه غدارا...

أول استعداد لك إذا أردت أن تنوي الآن وأنت في هذا المجلس أن تنوي أن تقلع عن الذنوب التي بينك وبين الله، ولقد سترك في هذه الأيام حتى تتوب إليه وحدك وبينك وبينه، ولئن مشيت في طريق التوبة فإن الله تعالى سيعينك...

- **الأمر الثاني : رد المظالم وإرجاع الحقوق إلى أصحابها:**

مهما سمعتم في رمضان أحاديث عن المغفرة فهذه مغفرة للذنوب التي بينك وبين الله، أما الذنوب التي بينك وبين العباد لا تغفر أبدا إلا أن ترد الحقوق لأصحابها، إلا أن يسامحك أصحاب الحقوق.

مهما سمعت في محاضرات وفي خطب في رمضان أن الله سيغفر لكل العباد الصائمين فهذا لا علاقة له بالذنوب التي بينك وبين العباد.

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) [البخاري]

هذه المغفرة لا علاقة لها بحقوق العباد...

((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) [البخاري]

هذه المغفرة لا علاقة لها بحقوق العباد...

((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) [البخاري]

هذه المغفرة لا علاقة لها بحقوق العباد، حقوق العباد لابد أن ترد إلى أصحابه أو أن يسامحك بها أصحابها نفسهم.

العام الماضي وفي مطار الحجاج رأى تاجر أحد زبائنه في قاعة المغادرين، سلم عليه وقال له إلى أين!!؟ قال إلى الحج..

قال له لكنك لم تؤدي الذمم التي كان في عنقك قبل الذهاب إلى الحج...

قال وماذا علي من الذمم!!؟ قال أنا لي عليك دين لي عندك تسعون ألف ليرة سورية من سنتين لم تؤدها إلى الآن، فقال له الرجل أما نسيتها بعد!!؟

قال التاجر لا لم أنسها. فقال الزبون: إذا سامحني الآن قبل أن أركب الطائرة...

قال لن أفعل حتى تردها إلي، فقال الزبون: لا عليك فعلت أو لم تفعل، الآن أذهبُ إلى الحج فإذا رجعتُ رجعتُ كيوم ولدتني أمي لا لي ولا علي...

هذا الزبون المسلم ابن دمشق لم يعلم أن حقوق العباد لابد من ردها وأن المغفرة

متعلقة بالذنوب التي بينه وبين الله تعالى...

فلا تعكر صفو علاقتك بالله بحقوق للعباد برقبتك، يا أخي الآن رد الحقوق إلى أصحابه، أخبرهم بأنك ستفعل بعد يوم أو بعد يومين بعد أسبوع بعد شهر أو بعد شهرين...

أما أن تتنصل من حقوق العباد ثم أنت صائم في رمضان تتصدق هنا وهناك وتبذل مالا هنا وهناك وفي رقبتك ذمم للناس فما هذا هو دين الإسلام....

الاستعداد لرمضان بأربعة أمور:

- أولها التوبة عن الذنوب التي بينك وبين الله.
- وثانيها رد الحقوق فيما يتعلق بحقوق العباد.
- **وثالثها تغيير الصحبة.**

إذا كان أصحابك سيئون فمائة بالمائة بعد رمضان أنت عائد إلى السوء مائة بالمائة بلا ريب، وإذا كان أصحابك خيرون فنحن نطمئن بإذن الله إلى سلامة ممشاك...

مستحيل أن لا تتأثر بأصحابك لأنك بشر، الحجر لا يتأثر لكن أنت بشر وتتأثر.

من أصلح خلق الله يا أيها الإخوة!!؟

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تخيلوا أن الله أمر رسوله أن يصاحب الصالحين ونهاه أن يجالس أهل السوء أتظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الممكن أن يسحب نحو الشر!!؟، لقد قال الله تعالى له في سورة الكهف التي تقرؤونها في كل جمعة:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف: 28]

لا تلتفت بعينيك عن الصالحين تريد أن تجالس أناسا للضحك واللعب والتسلية وإن كانوا على معصية!!؟

وبين معترضتين مطلع الآية واصبر نفسك يعني أن صحبة الصالحين تحتاج إلى صبر، يعني أن نفسك لا تحب صحبة الصالحية، ونفسي لا تحب صحبة الصالحين، وصحبة الصالحين كلها آداب وكلها انضباط ستجلس بطريقة منضبطة وستتكلم بطريقة منضبطة، وستضحك بطريقة منضبطة وإذا أكلوا أكلوا بانضباط وإذا لعبوا لعبوا بانضباط وإذا ذكروا ذكروا بانضباط...

وصحبة السيئين لا ضوابط عليها اجلس كيف شئت كل من النكت ما شئت اضحك بأي طريقة شئت، افتح إلى أي قناة فضائية تريد تحدث عمن شئت، اصرخ ما شئت واجلس ما شئت وقم كما شئت لا ضوابط عليك لذلك النفس لا تحب صحبة الصالحين، لأن فيها ضوابط، ولهذا قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

يا أيها الإخوة إذا أردنا أن نستفيد من رمضان لابد أن نراجع أنفسنا، إن كانت لك جلسات طويلة تحب فيها أناسا من أهل السوء فينبغي عليك واحد من أمرين:

إما أن تسحبهم إلى طريق الخير فيكونوا معك في الطاعة كما كانوا معك في المعصية، وإما أن تتركهم وتقول هذا فراق بيني وبينك..

كان خليلان مؤمنا، وخليلان فاجران، فمات أحد المؤمنين، فقال يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني...

لاحظ أن الصالح حتى إذا مات ينفعك...

فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما وقال ليثني كل واحد منكما على صاحبه، فيثني كل واحد منهما على الآخر، فيقول الله تعالى: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب.

الآن ويموت أحد الفاجرين وهذا رفيق المعصية الآن انتبهوا إلى هذا الكلام:

يموت أحد الفاجرين فيقول يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب أن لا تهده بعدي وأن تضله كما أضللتني وأن تهينه كما أهنتني...

رفيق المعصية يؤذيك حتى بعد موتك...

فإذا مات خليله الفاجر جمع الله بينهما وقال ليثني كل واحد منكما على صاحبه، فيلعن كل واحد منهم الآخر...

الذي كنت تضحك معه في المعاصي في الدنيا هو نفسه الذي سيلعنك في الآخرة، قال: فيلعن كل واحد منهما صاحبه فيقول الله تعالى: بئس الصاحب وبئس الأخ وبئس الخليل...

الاستعداد لرمضان بأربعة أمور:

- أولها التوبة.
- وثانيها رد الحقوق.
- وثالثها تغيير الصاحب.
- **والأمر الرابع: والأخير علو الهمة.**

جميل جدا أن تستقبل رمضان بهمة عالية، لا ترضى أن تصلي الفجر في بيتك، لا ترضى أن يسبقك الآخرون في إتمام صلاة التروايح، لا ترضى أن يسارع الناس إلى الصدقات والخيرات وأنت جالس في بيتك تراقب شاشات الفضاء.

لقد قال الله تعالى لسيدنا يحي: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12]

جميل أن تدخل رمضان بقوة، لقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: 5] والقول الثقيل يحتاج إلى رجال لحمله...

لقد قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد: 21] لا تمشوا مشيا إلى المغفرة بل سباق...

لقد قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 133]

لا تمشي على قدميك سارع مسارعة، وما عليه أن تتعب في رمضان في سبيل زيادة القرب من الله تعالى!!

كم من يوم آلمتك أقدامك وأنت واقف في محلك!!؟ فلتؤلمك أقدامك وأنت واقف في الصلاة.

كم من مرة قضيت ليال في العمل تعد نقودا في هذه الليالي؟ قم يا أخي لا تنم في صلاة الليل وفي صلاة الفجر.

تعال إلى صلاة الفجر وعيونك حمراء، ألا تذكر كم مرة ذهبت إلى امتحان وعيونك حمراء!!؟

لقد دخلت الامتحان بقوة فلماذا لا تدخل رمضان بقوة!!؟

همة على صلاة الفجر وصلوات الجماعة، وهمة على إتمام التراويح، وهمة على حضور مجالس العلم، وهمة على جبر خواطر الفقراء، وهمة على قضاء حاجات الناس، وهمة على صلة الأرحام...

إذا رآك الله تعالى مقبلا عليه بهمة فسيعطيك الله تعالى ما لا يخطر لك على بال...

يا أيها الإخوة هذه أمور أربعة تستعد بها لرمضان:

- **التوبة.**
- **ورد الحقوق إلى أصحابهم.**
- **وتغيير الصاحب السيئ.**
- **والهمة العالية.**

ختاما أقرأ عليكم حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وحضر رمضان – يعني مثل هذا اليوم-: ((**أتاكم رمضان شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا**))

الآن انتبهوا إلى هذه الكلمة:

((**ينظر الله إلى تنافسكم**))

الله سيطلع كيف سنتنافس في رمضان، ولو حضرت سباقا حضره وزير لزادت همتك في هذا السباق، فإذا حضره رئيس مجلس الوزراء لزادت الهمة أكثر، فكيف والله عز وجل في رمضان سينظر إلى تنافسنا، السباق سيبدأ من أذان المغرب في هذه الليلة...

((**ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا**))

دع رب العالمين يراك على الخير الكثير، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين...

والحمد لله رب العالمين